

خطاب الرئيس فضلو خوري في احتفال الجامعة الأميركية في بيروت للعام 2017 لتخريج طلاب الدراسات العليا ولمنح الدكتوراه الفخرية

قوة الشك

أصحاب المعالي والسعادة والسيادة، حضرات أعضاء مجلس الأمناء الأجلاء، أهالي وعائلات واصدقاء متخرجينا المبدعين، أعضاء الهيئة التعليمية والإدارية الرائعون، اهنئكم على رؤية جهودكم تثمر تخرّج دفعة ممتازة جديدة، خريجو الجامعة الأميركية في بيروت لعام 2017. طلابنا المميزون، إنه لشرف لي أن أرحب بكم الليلة، بعد سنوات على دخولكم الجامعة، لأتمنى لكم أفضل الطالع في رحلتكم المستقبلية الجديدة. ورمضان كريم.

يقول ألدوس هاكسلي: "التجربة ليست ما يحصل لكم، بل ما تفعلونه بما يحصل لكم."

رحلتكم في الجامعة الأميركية في بيروت كانت مفعمة بالتجارب الغنية والقوية. لقد دخلتم هذه الجامعة قادمين من مختلف أطياف البلاد، والمنطقة، والعالم. تركتم حضان والديكم لتتنزلوا في هذا الحصن العظيم، حصن النضال والمعرفة والتنوير، وهو مكان ملتزم بالشمول والتنوع، وملتزم بشكل لا لبس فيه بالتفوق. قطعتم شوطاً طويلاً لتكونوا هنا هذه الليلة، وكيّفتم وشكلتم شخصيتكم من خلال تجارب التفاعل مع زملائكم، والانخراط مع أساتذتكم، والخدمة في مختلف النوادي والجمعيات والمنشورات. لقد نموتم من خلال المعرفة التي اكتسبتموها من موادكم الدراسية الأساسية والاختيارية.

اليوم تقفون على أهبة القفزة الكبيرة في المجهول السحيق، في عالم مخيف ومثير على حد سواء. وعندما تصبح هذه اللحظات طاغية، تذكّروا أن هذه التجارب والتحديات بالذات التي مررتم بها هي التي وسّعت معارفكم، وأفاقكم، وساهمت في تأطير شخصيتكم.

نأمل أن تكونوا قد وجدتم وحققتم ذلك الذي يثير شغفكم في سنواتكم في هذه الجامعة. أرجو أن تكونوا قد اغتتمتم هذه الفرصة للبدء باستكشاف كل ما سوف تكونون عليه يوماً ما. نحن نكافح من أجل العثور على المعنى، لكن هذا الكفاح عينه هو الذي يجعلنا بشراً. إنه جزء لا يتجزأ من هذا المعنى.

بعد كل شيء، نحن مخلوقات منقوصة، ونضالاتنا للوصول إلى معنى تبدأ في المراحل الأولى من حياتنا. إنه جزء من طبيعتنا البشرية، ويجب أن نعتنقها، من خلال الاعتراف بوجودها، من خلال فهمها ومحاولة التغلب عليها باستمرار.

في كتابه الأكثر مبيعا، "الطريق إلى الشخصية"، قال دايفد بروكس: "شخصيتكم تُبنى في سياق المواجهات الداخلية الخاصة بكم. الشخصية هي مجموعة التصرفات، والرغبات، والعادات التي تُحفر ببطء خلال النضال ضد ضعفكم. تُصبحون أكثر انضباطا، ومراعاة، ومحبة من خلال أعمال صغيرة من ضبط النفس، والمشاركة، والخدمة، والصدقة، والتمتع المُعاد تعريفه."

كل إنسان يبدأ حياته مع الضعف، ويمضي العمر يجاهد للتغلب عليه، وهو يتبع طموحه. اتبع أحلامك، لا تبحث فقط في نفسك، ولكن أنظر من حولك - أنظر في مجتمعك، إفهم ما يفتقر إليه من أجل إقامة العدالة الاجتماعية. التحولات البشرية لا تأتي واضحة ومنسقة. ستحصل في حياتك المهنية على فرص سوف تجعلك تفكر مرتين، وسوف تنغمس في التفكير ملياً باغتنام هذه الفرص الإنسانية العديدة للتأثير على حياة أولئك الأقل حظاً. إن شخصية بكاملها تكمن في المجتمع المحلي، وغناها هو من صحة هذا المجتمع. وهكذا يتوجب عليكم جميعاً أن تتخطوا وتشاركوا في مساعدة الآخرين وأن تبذلوا أقصى ما في وسعكم لذلك.

في أوقات الشكّ هذه، غالبا ما يجد المرء هدفه وتوجّهه.

سوف تكون متردداً بطبيعة الحال قبل اتخاذ أي خطوة ستُخرجك من منطقتك المريحة. إن أهم القرارات عادة تسبقها لحظات التأمل الذاتي. في هذه اللحظات، إسمح لنفسك أن تزن الخيارات الخاصة بك، واستبقي أولاً تلك الخيارات التي ستفيدك وتفيد المجتمع الأوسع، بالتساوي.

قبل عامين ونصف، عُرضت عليّ للمرة الأولى قيادة هذه المؤسسة التاريخية. فكّرت بعناية في هذه الفرصة لتغيير توجّهي. كانت بالتأكيد لحظة من الشكّ الكبير، ولكن في تلك اللحظات من الشكّ، بالتحديد، نجد وجهتنا الحقيقية. من المهم أن تتحدّى نفسك بصدق، وأن تحدّد مهمتك الشخصية وتنفذها، وأن تبقي عينك على المجتمع الذي تخدمه، وأن تفهم كيف يمكن لمهاراتك أن تخلق أثرا دائما وفعالاً.

طلابنا المتخرجون هذه الليلة لديهم عزمٌ لا حدود له لسير العالم وتحقيق ما يصبون إليه. نصيحتي هي تجنّب التنافس المُفرط مع الآخرين. لا تسمحوا لأنفسكم أن تقولبكم الحاجة إلى التمايز الخارجي والإقرار بكم. كلكم موهوبون، والإنجازات الشخصية لا يمكن أن تجلب لكم الرضى أو السلام الداخلي لأمدٍ طويل، بل تجلب لكم لحظة فخر تعترض مساركم، وربما السعادة الوهمية. ومع ذلك، فإن خدمة الآخرين يمكن أن تجعلكم كاملين، وسوف تمكّنكم من العيش بسلام ووفرة داخليين.

لذلك، في كل مرة يواجهك شكٌّ حقيقي، أدرك أن القدرة على إحداث تغيير هادف تنبثق من هذه اللحظات المحددة بالضبط، وأنه في إمكانك اتخاذ قرار قد يغيّر إلى الأبد مسار حياتك وحياة الآخرين. ولكن هذا القرار قد يضعك في موقف حيث خدمتك سوف تفيد من هم حولك كثيراً. وفي عملية اتخاذ قرارك، فكّر في صيغ إيمانويل كانط الثلاثة المختلفة لكن المتساوية لقانون الأخلاقيات الشامل:

-إعمل فقط وفقاً لهذه الحكمة حين يمكنك في الوقت ذاته أن ترغب بأن تكون قانوناً عالمياً.

-تصرّف بطريقة تجعلك تعامل الإنسانية، سواء في شخصك أو أي شخص آخر، لا كمجرد وسيلة لتحقيق غاية، مطلقاً، ولكن في الوقت نفسه كغاية.

ومن ثم فإن المبدأ العملي الثالث يأتي كشرط نهائي لانسجامهما مع سبب عملي:

-اعتبر إرادة كل كائن عقلائي كشرعة عالمية.

طوال حياتي، تعلمت أن المرء يمكن أن يخدم إخوانه البشر من خلال طرق غير متوقعة. أنتم تتخرجون من جامعة قال عنها مؤسسها العظيم الدكتور دانيال بلس كلمات لا يزال صداها يتردد حتى يومنا هذا، وهي أن مؤسسي الجامعة لم يكتروا بأن يبدو عظماء بل أرادوا وضع الأسس التي يمكن بناء العظمة عليها.

إن لبّ الخدمة هو تسليم المقدرات من أجل فعل الخير لمن هم في أمس الحاجة إليه. وبوجود لبنان في وضع غير مستقر، ومع عالم عربي مزقته الحروب، وبحصول أكبر أزمة إنسانية قيد خطوات من دارنا، فإنكم، يا خريجوننا، من يُنظر إليهم على أنهم منارات الأمل يبعِدُ أفضل. أنتم محدثو التغيير، ومبلسمو الجراح، وموقّرو الأمل، ومقدّمو الرعاية للمجتمعات المحلية. وكل هذا لا يمكن أن يتحقّق إلا من خلال الشك الحقيقي والتأمل، بتواضع وتضحية، ومن خلال العمل، والمعرفة.

إن الشك هو ما دفع بوب ديلان العظيم ليدوّن كلماته السحرية في أغنية "أوراق خلفية:"

"لسان أستاذ عيّن ذاته

أكثر جدّيّة من أن يُخدع

تلقّظ أن الحرية

هي فقط مساواة في المدرسة

"مساواة" نطقّت الكلمة

كأنها نذور زواج

أه ولكني حينها كنت أكبر سنّاً

وأنا الآن أصغر سنّاً مما كنته حينها."

وكان على منى الهراوي أن تواجه الشك لمساعدة الأطفال المصابين بالثلاسيميا. الشك ساعد أهدف سويّف كي تضع نفسها في أذهان الذين يعانون خلال النكبة وبعدها. الشك هو ما يشعر به سيمون شاهين في كل مرة يقوم فيها بتأليف مقطوعة موسيقية، والشك هو ما تدرس هدى عقيل بيولوجيته عندما تحاول فهم بيولوجيا المشاعر الإنسانية المعقدة. بالنسبة لمكرّمينا الأربعة المتميّزين، غدا الشك جسرا للتعاطف والخدمة. الخدمة

والتعاطف اللذان ركزوهما فيما بعد على أولئك الأقل حظاً. وبمجرد أن يتم التركيز على التعاطف ويترجم إلى الخير، تتمّ الخدمة بشكل جيد، ويحين وقت التحرك إلى الأمام، لا تنظر إلى الوراء بغضب أو بفخر. ولكن بدلاً من ذلك، أدرك، كما قال جورج كاتليت مارشال، وزير الخارجية السابق وحائز جائزة نوبل للسلام: "عندما يتم شيء، يتم ذلك. لا تنظر إلى الوراء. تطلّع إلى هدفك التالي". هذه هي الروحانية التي تجلّت في عضو مجلس أمنائنا الراحل مارون سمعان، الذي كان يؤمن بعمق بقوة العمل الخيري، كما قالت ابنته نور في كانون الثاني الماضي حين ذكرت: "كان يتساءل دائماً كيف يمكن لشخص ما أن يهناً بالنوم على وسادته، فيما يعجز أحد جيرانه القريبين أو البعيدين عن تغطية نفقاته". مارشال وسمعان اعتنقا وجسداً الريادة في الخدمة.

اليوم نفتقد صديقنا العزيز، الخريج، عضو مجلس الأمناء، رجل الإحسان مارون سمعان الذي فقدناه كلنا في الشهر الماضي. نحتفل بحياته الزاخرة عبر توزيع أول شهادات من كلية الهندسة والعمارة وقد باتت تحمل اسمه وتدعى "كلية مارون سمعان للهندسة والعمارة".

أطلب منكم جميعاً أن تنضموا إليّ في الوقوف دقيقة صمت في ذكراه.
شكراً لكم.

اليوم تتخرجون أكثر ثقة وقدرة، مجهزين بالإيمان والمهارات والمعرفة اللازمة لتغيير العالم إلى الأفضل. لقد تعلمتم الكثير في الجامعة الأميركية في بيروت، تعلمتم المرونة والمثابرة، واليوم، نحن جميعاً فخورون بكم، إدارة وأساتذة وموظفين وأهل. تتخرجون أقوى وأكثر حكمة، مع وجهات نظركم، مهما كانت، مصقولة ومجربة. تنظرون خلفكم، إلى والديكم وأحبائكم، إلى الذين تجمّعوا هنا اليوم وأولئك الذين لم يتمكنوا من الحضور. لقد آمنوا بكم، وروعكم، ويستحقون منكم الشكر والتصفيق.

والآن اخرجوا إلى العالم الأوسع، ولا تدعوا الشك يردعكم. هناك الكثير من المعارف المثيرة التي تنتظر أن تقطفوها بالشكيمة والصبور. أنظروا إلى زملاء صفكم حولكم، ثم انطلقوا في العالم مع تصميم وتواضع.

وكما قال الشاعر العظيم أبو نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفةً حفِظتَ شيئاً، وغابَتَ عنكَ أشياء

خريجو العام 2017، تهانّي لكم. اعرفوا أن لكم في الجامعة الأميركية في بيروت دوماً منزل. ستجدون العزاء في الحرم الجامعي الجميل على البحر الأبيض المتوسط كلما حجب الشك والضيق رؤيتكم بالتناقض والألم. عودوا إلى حرمكم الجامعي كلما احتجتم إلى تجديد الشعور بالهدف. اليوم، أكثر من أي وقت مضى،

يسودني الأمل أنكم ستعيدون نحت وتشكيل لبنان، والعالم العربي وما بعده، لتخدموا شعوبنا الجريحة على أفضل وجه، ليكونوا مثلكم، "لتكون لهم حياة وتكون حياة أفضل."

خريجو الجامعة الأميركية في بيروت للعام 2017، تهانئ. انطلقوا وغيروا العالم إلى الأفضل. الموجودون هنا جميعاً، والأهم، أنتم، على ثقة الآن أنكم قادرون على ذلك.